المحاضرة السادسة:

مدارس الأدب المقارن: السلافية

أهداف الدرس:

- فهم الجذور التاريخية والفكرية
- التعرف على السياق التاريخي لنشأة المدرسة السلافية في أوروبا الشرقية، خاصة في روسيا وبولندا وتشيكوسلوفاكيا السابقة، في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين
- إدراك دور المؤسسين الكبار مثل ألكسندر فيسيلوفسكي (مؤسس "الشعرية")، و فلاديمير بروب (صاحب منهج تحليل الشكل) الذي لعب دور في تأسيس الشكلانية الروسية.

نص المحاضرة:

لاحظنا عند الحديث عن المدرسة الفرنسية والمدرسية الأمريكية أن كلاهما استندا على منهج أثناء تحليل النصوص الأدبية، فقد اتخذت المدرسة الفرنسية من المنهج التاريخي رؤية حددت بها مسارها في الأدب المقارن واتخذت المدرسة الأمريكية من النقد الجديد نهجا غيّرت به مسار الدراسات المقارنة ونقلتنا من الاهتمام بالظروف التاريخية إلى التركيز على **الجماليات** التي ميّزت النقد الجديد، لم تختلف المدرسة السلافية عن هذا النهج فقد استندت هي بدورها على ما سمي في تلك الفترة التاريخية **بالشكلانية الروسية** التي ظهرت سنة 1915 بجامعة موسكو وقد تكونت من حلقتين تزعّم الحلقة الأولى اللغوي رومان جاكبسون والتي أطلق عليها **حلقة موسكو** (1915-1920) وهي عبارة عن تجمع أو نادي أسسه "ستة طلبة من أعضاءها عالم الفلكلور السلافي بيوتر بوغاتريف، والعالم اللغوي غروغوري فينوكور، ومنظرا الأدب ومؤرخاه أوسيب بيرك وبوريس توشيفيسكي، وقد نذكر كذلك ميخائيل باختين الذي كان من رؤوس هذه الحلقة ثم تبرأ منها بعد

ذلك نتيجة انتمائه السياسي واختلافه الفكري(...) **تهتم هذه الحركة بالشعرية واللسانيات وتبحث في شؤون الأدبية وماهية الشكل**"[1] أما الحلقة الثانية فقد أطلق عليها جماعة الأوبوياز وهي تعني **جمعية دراسة اللغة الشعرية** " من أعضائها فيكتور شيكلوفسكي وبوريس إيخنباوم وليف جاكوبنسكي على أن أبرز أعضائها هم مؤرخو أدب تحولوا إلى حقل اللسانيات متخذين من الشعر موضوعا أثيرا للدراسة حيث كانت الشعرية الحب الأول لمنظري أوبوياز"[2].

يعود الظهور المتأخر للدراسات المقارنة في الاتحاد السوفياتي إلى العديد من الأسباب من بينها النظر إلى الأدب المقارن على أنه مرتبط بالثقافة الغربية وهذا الأمر يجعلهم يعتبرون أنه بمثابة تهديد **للوحدة القومية** التي كان ينادي بها الاتحاد السوفياتي "لقد أسهم سقوط الستار الحديدي بعد زوال الستالينية (نسبة إلى ستالين) في ظهور الدراسات المقارنة وكان من الطبيعي أن تكون هذه الدراسات منسجمة مع **المادية الجدلية والمادية التاريخية** لهذا تميزت هذه الدراسات بحضور نبرة نقدية واضحة فيما يخص الأدب المقارن في الغرب فقد أخذ الماركسيون على النظرة الغربية للأدب المقارن على أنها تضيق حدود النظر إلى الآداب في الزمان والمكان فهي تقسم عصور الآداب على نحو تحكمي وهذه النظرة تهمل الأدب السلافي وتعامله بشيء من الاحتقار"[3]

يطلق على المدرسة السلافية عدة أسماء منهم من نجده يطلق عليها اسم **المدرسة الماركسية** وآخرون يطلقون عليها اسم **المدرسة الاشتراكية** والبعض الآخر يسميها **المدرسة**

---

[1] – يوسف وغليسي: مناهج النقد الادبي، دار جسور، الجزائر، ط1، 2007، ص66.

[2] – يوسف وغليسي: مناهج النقد الادبي، ص ص66-67.

[3] – يوسف بكار: الأدب المقارن، ص19.

الروسية ولكن المتعارف عليه في ثقافتنا وما تم تداوله عند الحديث عن الأدب المقارن هو المدرسة السلافية، والسلافية "هي لغة قديمة لبلاد شرق أوروبا منها روسيا وهذه البلاد كانت تؤمن بالفكر الاشتراكي فهي تستلهم أفكارها من الفلسفة الاشتراكية أو الماركسية"[1] ، ولا شك أن استلهام أفكارها من مختلف الاتجاهات جعلها نوعا ما بعيدة كل البعد على أن تكون مدرسة مثل نظيرتها الفرنسية والأمريكية وفي هذا الصدد يقول سعيد علوش في كتابة مدارس الأدب المقارن "لا توجد مدرسة سلافية بكل معاني الخصوصية والانسجام بل يوجد انتاج يخضع لخلفيات فكرية وسوسيولوجية معينة وما قيل في شأن المدرستين الفرنسية والأمريكية يمكن أن يشار من جديد كإسهام للمدرسة السلافية في تطور الدرس الأدبي المقارن لا على المستوى المنهجي فقط بل على مستوى المادة واللون المحلي والبنيات الأدبية التي يخضع لها الأدب السلافي بكل ترسبات محفزاته الاشتراكية واختياراته الأيديولوجية"[2] ما نستنتجه من كلام سعيد علوش أن فكرة تأسيس مدرسة بالنسبة للسلافيين لم يكن هو الهدف لأنه بمثابة وقوع جديد في فخ المركزية التي ميّزت المدرسة الفرنسية والأمريكية سابقا وبالتالي فهذه الرؤية الجديدة التي ظهرت في **أوروبا الشرقية** بعد سنة 1945 "تمثل ثقلا معرفيا في الدرس المقارن للأدب يمكن الإفادة منه في تعديل الإسراف الأوروبي

[1] – ثائر محمد ابراهيم الملكاوي: مدارس الأدب المقارن بين التنظير والتطبيق عند سعيد علوش، مجلة اللغة العربية وآداها، المجلد 13، ع1، 2025، ص91.

[2] – سعيد علوش: مدارس الأدب المقارن، دراسة منهجية، المركز الثقافي العربي، مصر، ط1، 1987، ص127.

والأمريكي في التمركز حول الذات الغربية والذي طالما شكا منه الدرس المقارن للأدب ولا يزال كذلك" [1] .

يكاد يتفق الباحثون والنقاد على رأسهم كلود بيشوا أن المؤسس الفعلي للدراسات المقارنة السلافية هو **فيكتور فيسلوفسكي**، هذا الأخير يعتبره **كلود بشوا** في كتابه **الأدب المقارن** "من أوائل المقارنين وهو متخصص في الموضوعات الفلكلورية في السبعينيات، وشأنه شأن معاصرية كانت تصوره الرغبة في استخلاص قوانين عضوية من ملاحظات متفرقة ومحاولة جعل فن المقارنة علما شديد الإحكام"[2] ، وبعد فيسلوفسكي ظهر جيرمونسكي الذي يعد أيضا أحد الأعمدة التي أسست للأدب المقارن السوفياتي ويرى هذا الأخير أن "علم الأدب المقارن هو علم يدرس تطور الآداب القومية في إطار الأدب العالمي الذي يوحد الشرق والغرب، وهو ينطلق من وحدة السياق التاريخي لتطور آداب الشعوب، ومن حقيقة التفاعل الثقافي المستمر بين هذه الشعوب. وبعبارة أخرى، ينطلق من مبادئ الأخوة والتعاون بين الشعوب في مسيرة عملية التقدم والتطور التاريخيين فيما يخص القضايا الثقافية لا سيما الأدبية منها"[3].

بعد أن بيّنا الراحل الأولى التي تبلورت فيها المدرسة السلافية وبعد تحدثنا عن أهم رواد وكيف كانوا ينظرون للدرس المقارن نصل في الأخير إلى مجموعة من الاستنتاجات صاغها ثائر محمد ابراهيم

[1] – عبد النبي اسطيف: المدرسة السلافية والأدب المقارن، مجلة دراسات، ع433، 2007، ص6.

[2] – كلود بشوا، أندريه روسو: الأدب المقارن، تر: أحمد عبد العزيز، مكتبة الانجلومصرية، ط3، 2001، ص45.

[3] – عبد النبي اسطيف: المدرسة السلافية والأدب المقارن، ص12.

الملكاوي في مقاله سابق الذكر وكذا عبد النبي سطيف في مقاله سابق الذكر أيضا حيث اعتبرا هذين الأخيرين أن الفروقات بين المدارس الثلاث تتجلى في:

- تشترط المدرسة السلافية اختلاف لغة العملين الأدبيين؛ أي أن المقارنة تكون بين عملين أدبيين قوميين مختلفين، بشرط وجود البنية التحتية التي أنتجت العملين، فالظروف الاقتصادية، والاجتماعية، والاقتصادية، يجب أن تكون واحدة) وهو ما يطلق عليه المكون الاجتماعي
- الاتصال التاريخي :لا تشترط المدرسة السلافية وجود اتصال بين الأديبين[1].
- تستلهم المدرسة السلافية في الدرس المقارن للأدب الفلسفة الماركسية في تدبّرها للمشابهات الملاحظة بين الآداب القومية المختلفة، فتردها إلى المشابهات القائمة بين البنى التحتية المنتجة لهذه الآداب. ذلك أن التشابه في مراحل تطور المجتمعات الذي ينطوي على تشابه فيما بينها في البنى الاقتصادية لا بد أن يؤدي، في عرف أتباع هذه المدرسة، إلى تشابه في مكوّنات البنى الفوقية والتي يشكل الأدب واحداً من أهمها. وبالتالي فإن أي تشابه يلاحظه الدارس المقارن بين عملين أدبيين ينتميان إلى أدبين قوميين مختلفين، يمكن ردّه إلى التشابه الموجود بين البنيتين للمجتمعين اللذين أنتجا هذين العملين، وليس من الضرورة أن تكون بينهما أية صلة مباشرة أو غير مباشرة، لأن البنى التحتية المتشابهة تفرز بالضرورة بنى فوقية

[1] – ثائر محمد ابراهيم الملكاوي: مدارس الأدب المقارن بين التنظير والتطبيق عند سعيد علوش، ص93.

متشابهة، وهذا التشابه هو سر المشابهات التي نقع عليها بين الأعمال الأدبية التي تنتمي إلى آداب قومية مختلفة بصرف النظر عن أية علاقة قد تقوم فيما بين هذه الآداب.

- تعد وحدة عملية التطور الاجتماعي . التاريخي للبشرية المقدمة الأساسية لعلم الأدب المقارن.[1]

أسئلة التقويم الذاتي:

- علل أسباب الظهور المتأخر للدراسات المقارنة السوفياتية؟
- حدد الفروقات بين المدارس الثلاث؟
- عد لكتاب سعيد علوش مدارس الأدب المقارن ووسع معارفك المتعلقة بمدارس الأدب المقارن
- ماهي المدرسة التي تأثرت بها الثقافة العربية؟ وهل نملك مدرسة خاصة بنا في الأدب المقارن؟

[1] – عبد النبي اسطيف: المدرسة السلافية والأدب المقارن، ص07.